

وهذا من محاسن الشريعة الغراء، وحكمة الشارع الشريف "فإن الصبر على جواز الأئمة وظلمهم، مع كونه هو الواجب شرعاً، فإنه أخف من ضرر الخروج عليهم، ونزع الطاعة من أيديهم، لما ينتج عن الخروج عليهم من المفساد العظيمة، فرمما سبب الخروج حدوث فتنة يدوم أمدّها، ويستشري ضررها، ويقع بسببها سفك للدماء، وانتهاك للأعراض، وسلب للأموال، وغير ذلك من أضرار كثيرة، ومصائب جسيمة على البلاد والعباد"^(١).

قال شارح الطحاوية: "وأما ولي الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله، وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفساد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات، ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد بالاستغفار والتوبة وإصلاح العمل، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَتَىٰ هَٰذَا قُلُوبُ هَٰؤُلَاءِ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُؤَيِّدُ الْظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]. فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير فليتركوا الظلم"^(٢).

يقول أبو الوليد الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ): "فلئن قلت إن الملوك اليوم

(١) الأدلة الشرعية (٥٤).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٥٤٢/٢).

ليسوا كمن مضى من الملوك، فالرعية أيضاً ليسوا كمن مضى من الرعية، ولست بأن تدم أميرك إذا نظرت آثار من مضى منهم بأولى من أن يذمك أميرك إذا نظر آثار من مضى من الرعية، فإذا جار عليك السلطان، فعليك بالصبر، وعليه الوزير.. ولم أزل أسمع الناس يقولون: "أعمالكم عمالكم"، "كما تكونون يولى عليكم" إلى أن ظفرت بهذا المعنى في القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُؤَيِّدُ الْظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]. وكان يقال: ما أنكرت من زمانك فأئماً أفسده عليك عملك، وقال عبد الملك بن مروان: أنصفونا يا معشر الرعية تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر، ولا تسيروا فينا ولا في أنفسكم بسيرتهما"^(١).

وعن عمرو بن يزيد قال: سمعت الحسن أيام يزيد بن المهلب يقول - وأتاه رهط - فأمرهم أن يلزموا بيوتهم، ويغلقوا عليهم أبوابهم، ثم قال: والله لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا، ما لبثوا أن يرفع الله عنك ذلك عنهم، وذلك أنهم يفرعون إلى السيف، فيوكلون إليه، والله ما جاءوا بيوم خير قط، ثم تلا: ﴿وَوَعَدْتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَٰئِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَغْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وقال الحسن - أيضاً -: "اعلم - عافاك الله - أن جور الملوك نقمة من نقم الله تعالى، ونقم الله لا تلاقي بالسيوف، وإئماً تتقى وتستدفع بالدعاء والتوبة، والإنابة والإقلاع عن الذنوب، إن نقم الله متى لقيت بالسيوف

(١) سراج الملوك (١٠٠-١٠١).